ذُبح النشيدُ

أردتُ أن أكتب قصيدةً في مدح خالد بن الوليد رضي الله عنه سنة ١٤١٥هـ ، فأبت أن تخرج القصيدة إلا كما تراها :

ذُبِحَ النشيدُ ، وصُدّتِ الأصداءُ … وتَحَشْرَجَتْ ألحانُه الغَنّاءُ
سالتْ على قَدَمِ الطُّغاةِ حروفُه … وصَداهُ في سِجْنِ البُغاة عُواءُ
سُلِخَتْ شِفاهٌ كان ينوي أن يَمُـ … ـرَّ بها النشيدُ ، ولِلسانِ عَفاءُ
غُصصٌ تغورُ، فتكْبِتُ الصَّوتَ الشَّريـ … ـفَ ، وتُحْرِقُ الدَّمعَ العفيفَ ، غِواءُ
خَنَقَتْ نُواحَ الذُّلِّ ، حتى نَبْحَهُ … لم تَبْدُ حتى الدمعةُ الخرساءُ
كم من قصيدةِ حُرةٍ[1] قد أُجهِضت … فالنفسُ عاقرٌ ، أو زِنًا لَقْحاءُ
وأنا أُريدُ النفسَ في هذا السِّبا … ءِ وَلُودَةً أبناؤها نُجَباءُ
وأنا أريد بأن أُغنّي خالدًا … مَدْحِيْهُ في هذا الزمانِ هِجاءُ
هو آيةٌ لله رَتَّلَها الجها … دُ مُقَعْقِعًا ، مِحْرابُه الهيجاءُ
يَتْلُو له سُوَرًا من النصْرِ المُؤَزَّ … رِ ، فالدموعُ من الخُشوعِ دِماءُ
هو مُعْجِزٌ : ذَلَّتْ له الأبطالُ ، والـ … ـقُرآنُ قد خَضَعَتْ له الفُصحاءُ
تُليتْ بسمعِ الكونِ آيةُ خَتْمِه … فَتَجَلْجَلَتْ : لا نامتِ الجُبناءُ
وطَواهُ غِمْدٌ ، فهْوَ لَحْدُ سِنانِه … ولِواؤهُ أكفانُه الحمراءُ
فبكتْكَ خالدُ أَمْهُرٌ عربيّةٌ … لَمَعَتْ على تَعْدائها الجَوْزاءُ
أَلِفَتْ زَغاريدَ البطولةِ ، فارْبُضي … فاليومَ أَنتِ والنَّعامُ سواءُ
وَبَكتْكَ من دمِها السُّيوفُ ، وكُنتَ تُضْـ … ـحِكُ سِنَّها ، والغارةُ الشَّعْواءُ
فبَكتْكَ مخزومٌ ، فقيل لها : ارْبَعي … تبكيهِ أرضٌ شَجْوَها وسماءُ

---

(١) الحرة : هي النفس الحرة .

وَحْـــيُ الجهـــادِ تَغَلَّقــــتْ أبوابُــــه   مـــا عـــاد في إلْهامِـــهِ إيحـــاءُ
لكـنَّ مصـحفَ خالـدٍ بـاقٍ ، سَيَتْـــــ   ــــلُوهُ الخُلــودُ ، فَــيَسْجُدُ الشُّــهَداءُ
ســجدوا ، فــأين الســامعونَ بــأُمتي   آذانُهُــــم وقُلُـــــوبُهم صَـــــمّاءُ
هــم يعلمـــون بـــأنّ ذِكْــرَكَ نَدْبَــةٌ   (اللهُ أكـــبرُ) للجهـــادِ نـــداءُ
فـإذا ذَكَـرْتُك مَـدّتِ الرُّقبـاءُ قَصّـــــ   ــــصًا إليَّ ، فأيُّــــنا الأشــــلاءُ
وإذا نويـــتُ بـــأن أُغنّــي خالــدًا   ذُبــحَ النشــيدُ ، وصُـــدّت الأصــداءُ